رئيس التحرير المسؤول
العميد منير عقيقي

كيف نتحوّل من كيان إلى دولة؟

اعتاد اللبنانيون منذ اعلان لبنان الكبير ان يسمعوا من المسؤولين في خلال الحروب المتنقلة بين المناطق وفي ما بينها، في ذروة الاحداث والفتن، بوجود الاحتلالات والوصايات المتنوعة ومن دونها، في المحاضرات السياسية والاكاديمية والعقائدية والاقتصادية، او في اثناء تقديم مشروعات متعددة لانظمة حكم جديدة، مع الخلافات "المركّبة" على الطائفية والمذهبية والقومية وفي التاريخ والجغرافيا، وما الى هنالك من مناسبات، مواقف وتصريحات وموضوعات جدلية راكمها اللبناني في قاموسه الذي يتضمن مسميات كثيرة ومفردات وتعابير لا تنضب مثل: الكيان اللبناني، الوطن، ميزات لبنان في التعددية الثقافية والحضارية والدينية والاجتماعية".

لماذا هذه المقدمة؟

انها طبعا توطئة لقراءة متأنية في كيفية مقاربة المواطن اللبناني لـ"لبنانه". وقبل تحديد هذه المقاربة، لا بد من شرح مختصر لمعنى ثلاث كلمات هي:

1- الكِيان: وهو ارض الوطن بحدوده المعروفة ومقوماته السياسَية والاقتصادية والثقافية وغيرها.

2- الوطن: هو المكان الذي يولد فيه الانسان ويقيم مع جماعة من الناس، يربطه بهم التاريخ والحدود الجغرافية والمصالح المشتركة والشعور بالانتماء الى المكان. لا يدعم هذا الانتماء ويعززه الا الشعور بأن هذا "الكيان - الوطن" يحمي الانسان.

3- الدولة: هي مجموعة من الافراد يمارسون نشاطهم على "كيان وطني" جغرافي محدد، يخضعون لنظام سياسي يتولى شؤون الدولة وحمايتها. وتشرف الدولة على كل الانشطة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدفاعية، والتي تهدف الى تقدمها وازدهارها.

التبجح ان لبنان هو كيان او وطن امر طبيعي، لكن من دون تحويل هذين، الكيان والوطن، الى "دولة" بكل ما للكلمة من معنى سيُبقي اللبنانيين بكل فئاتهم ومجتمعاتهم اسرى التقوقع الجغرافي "كيانيا"، والخشية من الاخر "وطنيا"، وهذا بالطبع سيؤسس لخوف مشترك بعضهم من بعض وعلى المستقبل، عندها يتطلع الجميع الى طلب المساعدة الخارجية بكل انواعها، وستكون لها تبعات استلحاقية سلبية، تحكمها المصالح المتضاربة والمتناقضة، ولا تؤسس الا الى مشروعات حروب وأحداث وفتن بين اللبنانيين، تنتهي في كثير من الاحوال بوصايات سياسية، عسكرية واقتصادية، جميع اللبنانيين خبروها، لا بل شاركوا فيها واستفادوا منها الا لبنان "الدولة"، لأن مبدأ بناء الدول هو عكس ذلك تماما، لا بل نقيضه.

تلك حقيقة مرة لا احد مستعد للاعتراف بها، واكبر دليل على ذلك الاستمرار في اعتماد سياسة التباعد ورفض التلاقي او الحوار الا بشروط، والكل يسأل هل الحوار في حاجة الى شروط مسبقة للجلوس الى طاولة واحدة من اجل الاتفاق على بناء دولة؟

اللاحوار في بلد تسوده الخلافات هو امر غير صحي على الاطلاق، والاستمرار في وضع العراقيل امامه ممن يمسك بزمام الامور في لبنان والتشبث بعدم التنازل لمصلحة بناء دولة، كلها امور تساهم في تعميق الانهيارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية وتوسيعها لتصبح خندقا كبيرا في وادي الجحيم.

المنطقة، في شقيها الشرق الاوسطي والادنى، تتحضر لمرحلة طويلة الامد من الاستقرار العسكري السياسي والاقتصادي والاجتماعي، ومعظم دول تلك المنطقة تطور قوانينها الاجتماعية والحقوقية والانسانية، عدا عن البدء بإصلاحات ادارية واقتصادية في الشؤون الانمائية والاستثمارية، فضلا عن مشروعاتها الزراعية وتوسيع مساحاتها الخضر والتزامها معايير المحافظة على المناخ.

اما في لبنان، فالقوانين التي عمرها من عمر الكيان لا تطبق ولا تُحدّث. الديموقراطية العريقة تحولت الى اسم مجرد. المياه الجوفية التي تشكل ثروة للبنان امتزجت بعصارات النفايات الكيميائية والعضوية والمجارير. المساحات الخضر تقلصت لمصلحة المدافئ وبلوكات الاسمنت العشوائي. الهجرة اللبنانية تتزايد الى الخارج بوتيرة النزوح الاجنبي الى داخل لبنان نفسها.

الكل يسأل، ماذا ينتظر المسؤولون ليتحاوروا من اجل انقاذ ما تبقى من هيكل، وتحويل الكيان والوطن الى دولة ذات سيادة تواكب ما يجري في المنطقة، بدل ان ينتظروا موفدا من هنا او مندوبا من هناك؟

إلى العدد المقبل